في الأزل ومتقدم العلم وكذلك قد ذكر الله تعالى يتمه وعيلته في القرآن على طريق
المنة عليه والتعريف بكرامته له فذكره لذكرها على وجه تعريف حاله وخبر
عن مبتداه والتعجب من منح الله قبل وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل دلالة
على نبوته وصحة دعوته اذ اظهره الله بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من
اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة
ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف
قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين ولو كان ابن ملك وذا اشياع متقدمين
لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل
حين سأل ابا سفيان عنه هل في اباءه من ملك ثم قال ولو كان في اباءه ملك لقلنا
رجل يطلب ملك ابيه وان اليتيم من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة
واخبار الامم السالفة وكذا وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه سيف بن
ذي يزن لعبد المطلب وبحيرا لابي طالب وكذلك اذا وصف بانه امي كما وصفه
الله تعالى به فهي مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزة اذ معجزته
العظمى من القرآن العظيم انما هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح
صلى الله تعالى عليه وسلم وفضل به من ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود
مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى
العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة
وانما هي آلة لها وواسطة موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت
الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب
الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة
سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه هذا وشق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته

وغاية قوة نفسه وثبات روعه وهو فيمن سواه منتهى هلكه وحتم موته
وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره وسيره وتقلله من الدنيا ومن
الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه في اموره وخدمه بيته زهدا
ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها
كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد شيئا منها مورده وقصد بها
مقصده كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه وعلم منه بذلك سوء قصد
لحق بالفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره صلى الله عليه وسلم واخبار
سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي
امورا لا تليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث
منها الا بالصحيح ولا يروى منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد
كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة للتشبيه والمشكلة المعنى وقال
ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان يتحدث بها فقال لم يكن
من الفقهاء وليت الناس وافقوه رحمه الله على ترك التحدث بها وساعدوه على
طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اورد هذا على قوم عرب يفهمون
كلام العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه
وايجازه فلم يكن في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية
فلا يكاد يفهم من مقاصد العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض
الايجاز ووحيها وتبليغها وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها
شذر مذر فمنهم من آمن به ومنهم من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب
ان لا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)